نظرية الخلْق

ليْس بين نظرية الخلق ونظرية التّعبير كبيرَ فُرُوق من حيثُ الخلفية الفلسفية، فكلا النَّظريتين تستند إلى فلسفة "كانت" و"هيجل" غير أنّ نظريةَ التّعبير ترتَبِطُ بظهور البرجوازية، في حين ترتبط نظرية الخلق بأفول البرجوازية وتأزمها، وظهور الطبقة الرأْسمالية التي صار معها كل شيءٍ سلعةً بما في ذلك الفن والأدب، من هنا نادت أصواتٌ بالدِّفاع عن الفن وعن الأدب ودعت إلى تحريره من كل تَبَعِيّة ومن كل قيود، وهو ما عُرف بالفن للفن.[1]

وقد سُمِيت هذه النّظرية بنظرية الخلْق بسبب أنّ أصحابَها ينظرون إلى الفن والأدب على أنّه كائِنٌ خلقه الأديب من ذاتِه ووسيلة الخلق بالنّسبة للأدب هي اللغة، وكأنها تجعل العمل مُسْتَقِلًّا بذاته لهُ كَيَانُه، وله تقنيته الخاصة التي هي جوهره ولبّه وهدفُه وغايته[2]

لقدْ عبّرت نظريّة الخلْق عن خيْبة الأمل في فردية الإنْسان، وأثارت الشّكوك في خَيْرِيّتِه، بل ذهبَ أصحاب هذه النّظرية صراحةً إلى أنّ الإنسان شرّيرٌ بطبْعِه، ونَادَى بعضُهم بضرورة العودة إلى الضوابِط الكْلاسيكيّة لمحاصرة الأَنَانية، والذَّاتية، والنوازع الشرّيرة في الإنسان، وقالوا بضرورة إِعْمال العقل والانضباط والتّوازن، وسدَّدَ هؤلاء أقوى الهجومات إلى التّفاؤل الرّومنسي، ودعَوا إلى فنٍّ موضوعيٍّ، ونقد عِلْمي مؤسس على تقدم العلوم. [3]

ومن بين منْ يُمثّل هذه الإفكارالشَّاعر الأنجليزي "توماس إرْنِسْتْ هْيُومْTomas Ernst Hume "1883-1917 و"ريتْشَارْدَز إيفُور أرْمِسْتْرُونْغ "1893-

---

[1]- شكري عزيز الماضي: في نظرية الأدب، ص 63

[2]-شكري عزيز الماضي: نفسه، ص 67

[3]-عبد المُنْعم تليمة: مقدمة في نظرية الأدب، دار التنوير للطباعة والنشر، القاهرة، ص 67

1979 وكذا الشّاعر والنّاقد الأنجليزي الشهير "توماس ستيرْنزْ إِلْيُوت"

" توماس ستيرنزإليوتThomas Stearns Eliot»(1888 – 1965»وفكرة المعادل الموضوعي:

رفض"ت.س إليوت"المفاهيم التقليدية للبَلاغة والتي تتحدث عن التّعبير الصّادق والمشاعر الفياضة وغيرها من الأمور، يقول"إليوت":"إن البلاغة هي في ابتكار الأديب لمُعَادِلٍ موضوعي للإحساس الذي يرغب في التعبير عنه...بحيث يستطيع هذا المعادل الموضوعي أن يُجسّد داخل المتلقي نفس الإحساس الذي أراد الأديب إثارته"، وقد اعتبرَ أن"الفن ليس تعبيرًا عن إحساس صادق مهما بلغ هذا الإحساس من الصِّدْق أو الدّقة"وبدلًا من هذه الفكرة فقد دعا إلى ضرورة تجسيد ذلك الإحساس وإبرازِهِ في كيانٍ جديد مستقل عن صاحبه، هذا الكيان المستقل يعادل ما يشعرُ به المبدع، وينتقل هذا الإحساس عبر الفن إلى المتلقي، وهذا مادعاه"إليوت"بالمعادل الموضوعي وهي الفكرة التي عُرِف شخصيًّا بهاقال"إليوت"في مقالة نقدية بعنوان"التقاليد والموهبة الفردية" عام 1919»الطريقة الوحيدة للتعبير عن الانفعال في شكل فن تنحصر في إيجاد معادل موضوعي، وبكلمات أخرى مجموعة من الموضوعات والأوضاع وسلسلة من الحوادث تكون معادلة لذلك الانفعال الخاص... وأن القيمة الفنية تكمن في هذه المقدرة التامة للعنصر الخارجي على التعبير على الانفعال« [4]وقد لاحظ"ت.س.إليوت"أن مسرحية "شكسبير"هاملت" تفتقر إلى المعادل الموضوعي فشخصية هاملت يستولي عليها انفعال أكبر من المواقف الخارجية التي كان يعبر بها عن انفعاله، وبذلك بَقِيَتْ هذه الشّخصية أسِيرةَ انفعال حاد.

إن"إليوت" وضع بهذه المقالة النقدية شيئا هامًا في النّقد هو المعادل

4

- محمد زكي العشماوي: دراسات في النقد الأدبي المعاصر، دار الشروق، 1994، ص 264

الموضوعي، الذي بواسطته حطَّمَ الصراع بين الذات والموضوع، مُبيناً أن ذلك الصراع لاينبغي أن يكون، فموضوعيّة الأدب لا تتنافى مع ذاتيته، ونظرا لأهمية المعادل الموضوعي فقد شغَلَ النُّقاد، يقول رشاد رشدي: »عندما كتب"ت.س. إليوت"هذا في عام 1919م كان بغرضِ الحديث عن هاملت، ولم يكن على ما أعتقدُ يرمي إلى نظريةٍ جديدة في النّقد، ولكن منذ أن كتب"إليوت"مقاله عن هاملت والمعادل الموضوعي يَشْغَلُ حيّزا كبيرا من أبحاث النقد الأدبي...فبعض النقاد يعتبرونه نظريةً كاملةً قائمةً بذاتها، في حين يتشكك البعض في أصالة الفكرة وصحتها« [5] نفهم من ذلك أن"إليوت" لم تكن له نِيّة إبْداع نظرية جديدة، ولكن ذلك لا يُنْقِص من قيمة وأهمية المعادل الموضوعي الذي لقي صدًى واسعا لدى النقاد. وليس المعادل الموضوعي وليد هذه المقالة فحسب، بل نجد معناه شائعًا في كتابات"إليوت" بل لدى نقاد النّقد الجديد في أمريكا وبريطانيا. لقد كتب "إزرا باوند، Ezra Weston Loomis Pound" 1885 – 1972" في كتابه روح الرومانس يقول: »إن الشعر نوع من الرياضيات الملهمة التي تزودنا بالمعادلات للعواطف البشرية[6]«، وقد أدى هذا إلى اعتقاد كثير من النُّقاد بأن تعريف"ازراباوند" هو الأصل في فكرة المعادل الموضوعي[7]. إنَّ العبارة السابقة لـ"إِزْرَابَاوْنَدْ" تشير حقيقةً إلى المعادل الموضوعي، ومع هذا يبقى لـ"إِلْيُوتْ" فضلُ إِبْراز الفكرة بصورة واضحة وتطبيقها على الشّعر.

---

[5]- شكري عزيز الماضي: في نظرية الأدب، ص 63

[6]- شكري عزيز الماضي: نفسه، ص 63

[7]- شكري عزيز الماضي: نفسه، ص 63